بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 84 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:07\05\2024 م كتبه: عبدالله ضيف الستري

بعد هذا الاستطراد نرجع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾.

تقدم في هذه الآية المباركة البحث السياقي، وذكرنا أن هذه الآية هي مطلع لمقطع جديد، وبحثنا عن ربطها بالآيات السابقة في المقاطع السابقة. وأيضاً تقدم البحث المفصّل عن التفريق بين الإنزال والتنزيل.

بقي لدينا البحث التفسيري في هذه الآية -وهو المهم- فهذه الآية المباركة تشتمل كما هو ظاهر على أربع مؤكدات، اثنان منها من مؤكدات الحكم، واثنان من مؤكدات غير الحكم.

أما مؤكدات الحكم:

المؤكد الأول: هو استعمال الجملة الاسمية.

فإن استعمال الجملة الاسمية في مورد يتمكن المتكلم من استعمال الجملة الفعلية يدل عندهم على الثبوت والاستمرار والتأكيد. خصوصاً أن هذه الآية من الجمل المركبة، -صحيح هي جملة اسمية ﴿إِنَّا﴾ جملة اسمية، لكن عجزها وذيلها جملة فعلية ﴿نَزَّلْنا﴾- فعدم الاكتفاء بالجملة الفعلية والإتيان بجملة اسمية عجزها جملة فعلية يدل على التأكيد، تأكيد النسبة، تأكيد الحكم.

المؤكد الثاني: استعمال ﴿إِنَّا﴾.

من أبرز أدوات التأكيد في اللغة العربية كلمة ﴿إِنَّا﴾، فهي من المؤكدات ومن مؤكدات الحكم.

فرق بين قولك زيد قائم وبين قولك إن زيداً قائم. فبلحاظ من يلقى إليه الخطاب، إذا كان الملقى إليه الخطاب خالي الذهن فلا حاجة إلى التأكيد؛ لأن في اللغة العربية وخصوصاً في القرآن الكريم لكل

كلمة حساب، فإذا كان المخاطب ذهنه خالياً عن الحكم وعن النسبة فلا حاجة لأن تقول له إن زيداً قائم. على حد تعبير الشاعر:

أَتَاني هَواها قبلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوَى فصادَفَ قَلْباً خَالياً فَتَمَكّنَا

هذا الذي قال عنه الحب الأول، عندما يأتي يستقر فزواله صعب؛ لأن القلب كان خالياً.

هذا الإنسان الذي هو خالي الذهن فهذا بمجرد أن تقول له زيد قائم يدخل في ذهنه، بخلاف ما لو كان منكراً، فتحتاج إلى أن تزيل هذا الإنكار ثم تدخل إليه مطلب جديد.

هذان المؤكدان من مؤكدات الحكم والنسبة، أي: ما يريد أن يثبته من محمول لموضوع هو الذي أكده.

أما المؤكدان الآخران، وهما من مؤكدات غير الحكم:

المؤكد الأول: إعادة الضمير ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾

﴿إِنَّا﴾ أصلها إننا، فيوجد ضمير متصل، ثم قال ﴿نَحْنُ﴾، فهذا بحسب المعنى -لا بحسب الاصطلاح النحوي- تأكيد للمبتدأ، والذي هو اسم إن. ففيه نوع من التأكيد، لكن ليس لتأكيد الحكم، أي نحن لا غيرنا.

يقال في بعض الأحيان إذا الإنسان توهم، فقلت له أرسلت رسالة، فتاء أرسلت هي للمتكلم، لكن يحتمل المخاطب أن الرسالة تارة أرسلتها بنفسي وتارة أرسلتها بواسطة خادمي أو كاتبي، فحتى أؤكد له هوية المرسل أنها أنا، فأقول أرسلت أنا الرسالة، فهذا تأكيد للفاعل في هذا المثال.

وكذلك في قوله ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ ففيه نوع من التأكيد.

المؤكد الثاني: المفعول المطلق ﴿تَنْزِيلاً﴾

نعرف أن المفعول المطلق على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: لبيان النوع، فتقول: جلسة جلسة الأمير.

النوع الثاني: لبيان العدد، فتقول جلسة جلسة واحدة.

النوع الثالث: لبيان التأكيد، فتقول جلسة جلسةً.

المفعول المطلق هنا للتأكيد.

اجتمع في هذه الآية أربع مؤكدات، فلا يمكن أن نمر عليها مرور الكرام. فهذا يعني أن هناك حقيقة في الخارج منكرة، أراد الباري تارك وتعالى أن يؤكدها، والتأكيد في مثل هذه الموارد للوهلة الأولى قد يقال هذا للخصم لا ينفع؛ لأن هذا الخصم -المشرك أو الذي ينكر نبوة النبي ﷺ والذي ينكر سماوية القرآن الكريم- لو جئت له بألف مؤكد لا يؤثر فيه.

هذا نظير بعض الآيات التي يكون الباري تبارك وتعالى فيها هو الشاهد، فهذا بالنسبة للخصم لا ينفع، فالله تعالى هو الذي يشهد لنبيه ﷺ، فالخصم لا يعتقد أن هذا كلام الله تعالى حتى يعتقد بالشهادة.

فمثل هذا النوع من المؤكدات يكون لتثبيت قلب النبي الأعظم ﷺ، ومن جهة أخرى كون كلامه حينئذ خالياً عن أي مشوبة ترديد.

فمرجع تأكيد النسبة والحكم والجملة إلى أن طرفيها -هذا الحكم وهذه النسبة- مما ينكره الخصم، وهذا لا يفرّق فيه بين أن نجعل الآية مكية أو نجعل الآية مدنية؛ إذ تقدم في أول السورة أن هذا المقطع على الرغم من أن المشهور يعتبرون أكثرية سورة الإنسان مدنية إلا أن البعض استثنى هذا المقطع وجعله من المقاطع المكية؛ وذلك بقرينة الآية التي تأتي بعد هذه الآية المشابهة للآيات المكية؛ لأنه كما كان في مكة من ينكر نبوة النبي ﷺ وإنزال الكتاب عليه كان يوجد في المدينة من ينكر ذلك، فبعض المنكرين كانوا من المنافقين وبعض المنكرين كانوا من المجاهرين، كالذين خارج حدود المملكة الإسلامية، كمكة المكرمة وفي غيرها.

إذاً هذه الآية جاءت لتأكيد هذه الحقيقة، والغرض منها تسجيل أن نزول القرآن بهذه الكيفية من الله سبحانه وتعالى لم يدخل إليه لا شعر ولا سحر ولا نفث شيطاني، وإنما هو منزل من عند الله سبحانه وتعالى تنزيلاً.

فـ ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ أي من عندنا لا من عند غيرنا ﴿نَزَّلْنا عَلَيْكَ﴾ قدم الجر والمجرور على المفعول به للدلالة أننا نزلناه عليك لا على غيرك، فلم تأخذه من ورقة بن نوفل ومن غيره ممن قيل في حقه ذلك فنزلناه عليك لا على غيرك، وهذا التنزيل مؤكد بهذه الطريقة التي فرّقنا فيها بين الإنزال والتنزيل.

فهذه الطريقة على نحو النجوم وعلى مكث هي من عند الله سبحانه وتعالى لا من عند نفسك. فلأجل ذلك ترتبط هذه الآية بمؤكداتها مع آية أمر النبي ﷺ بالصبر، وهي الآية الآتية؛ باعتبار أننا نزلناه – بهذه الطريقة– على نجوم فاصبر، هؤلاء سوف يأت في حقهم أمور أخرى، من قبيل الأمر بجهادهم وما شابه ذلك، لكن عليك أن تصبر.

تأكيد الفعل على نحو المفعول المطلق للتدليل على أن هذا التنزيل على نجوم وعلى مكث وعلى مقاطع وعلى برهة زمنية متطاولة، وتخصيص كل آية بوقتها المناسب مع شأن نزولها، والذي هذا الأمر يحتاج فيه إلى أن يكون من ينزل عليه هذا الشيء إلى هذه الفترة الزمنية الطويلة أن يتحلى بالصبر لأجل ذلك مباشرة جاءت الآية رقم أربع وعشرين تقول: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾.

أما الآية الرابعة والعشرون تقول: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾.

هذه الآية المباركة لها نظير في سورة القلم، قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[1].

بعض علماء التفسير للتسالم على أن سورة القلم مكية أصرّ على أن هذه الآية في سورة الإنسان لابد أن تكون مكية؛ لأن هذا اللحن واحد.

لكن لا ضرورة تقتضي ذلك، فإن في مكة المكرمة وإن مرّ على النبي ﷺ صعاب كثيرة، لكن في المدينة المنورة أيضاً خصوصاً بعد سعة الدولة الإسلامية من جهة، وكثرة المسلمين من جهة خرى، ودخول المنافقين في المدينة المنورة، والتهديدات الخارجية من جهة رابعة من اليهود ومن الروم ومن

[1] القلم: 48

الفرس، أيضاً مثل هذه الأمور تقتضي أن يؤمر النبي ﷺ ومن خلاله اتباعه بأن يتحلوا بالصبر، فمجرد هذا التشابه في اللفظ لا يقتضي أن تكون هذه الآية مكية.

نعم يحتمل أن تكون مكية، ونحن لم ننكر هذا الاحتمال، لكن مجرد أنها تشابهت مع آية مكية لا يكون ذلك قرينة قطعية على كونها -أيضاً- مكية.